المبحث الثالث : الأثر الفكرى للآريوسية

يتمثل الأثر الفكرى للآريوسيين فى أمور منها المصنفات لا سيما مصنفات آريوس ، والمحاورة لا سيما ما وقع بين آريوس وأثناسيوس ، والردود الأثناسيوسية على آريوس والآريوسية والتى كانت تتضمن أفكار الآريوسيين حال نقدها من وجهة النظر النيقية:

أولا : مؤلفات آريوس : استحوذ آريوس على مركز مهم في التاريخ الكنسى بأفكاره التى جادل عنها فى مناظراته ودونها فى كتاباته ، ومن هذه الكتابات التي وصلتنا عنه من خلال معارضيه :

1- رسالة إلى أسقف نيقوميدية : وقد حفظها لنا إبيفانيوس في كتابه "باناريون". وكذلك ثيئودوريتس في كتابه "التاريخ الكنسى". وفى هذه الرسالة يحتج على تحامل الكسندروس ضده وضد أتباعه ويعرض أراءه وتعاليمه في صراحة تامة، ويقول أن الابن "ليس غير مولود"Agenntos ولا "جزء من غير المولود" وفى النهاية يستنجد بيوسابيوس أسقف نيقوميديا مسميا إياه أنه من "الاتحاد اللوكيانى" ، وقد ذكرنا نص الخطاب سابقا .

2- رسالة إلى الكسندروس أسقف الإسكندرية سنة 320م : حفظت هذه الرسالة في أعمال "أثناسيوس عن المجامع"، وفى كتاب "باناريون" لإبيفانيوس. كما حفظت باللغة اللاتينية في كتاب "الثالوث ليلارى". وهي الاعتراف الإجمالي الذى كان قد قدمه لمجمع نيقوميديا الأول والذي عقده الآريوسيون المنفيون، وفى هذه الرسالة تحاشى التعبيرات المثيرة واعتبر أن "الابن قد ولد قبل كل الدهور". إلا أنه لم يكن موجودا من قبل أن يولد[1].

وهذا جزء من نص الخطاب كما ورد عند المخالفين لآريوس :[الذي ولد الابن الوحيد قبل الأزمنة الآيونيَّة (الأبديَّة)، الذي فيه عمل الآيونات و كُلّ شئ ، الذي صيَّره لا بالمظهر بل بالحقيقة; مُعطياً إيَّاه الكيان (υποστησαντα) بمشيئته الذاتيَّة. غير مُتغيِّر و غير مُتحوِّل، مخلوقٌ (κτισμα) الله كامل ، و لكنَّه ليس كأي المخلوقات، صائر (γεννημα) و لكنه ليس كأحد الأشياء الصائرة ، صائراً بواسطة الله ليس كما كتب فالنتينوس عن كونه نزيفاً منه، ولا كما علَّم ماني أنَّه جُزء جوهريّ من الآب، ولا كما قال سابيليوس قاسماً الواحد

1- Cf. Bardy G., Recherches… 216-278

(Μόναδ) إلى أب إبن (υιοπατόρα – Sonfather)، ولا كقول هيراكليس أنه كنور من نور أو كمصباح إنقسم إلى إثنين، ولا كواحد موجود مُسبّقاً قد جُعل إبناً بالتبنِّي أو الخلق و لكن كما نُصرّ، خُلق بمشيئة الله قبل الأزمنة و قبل أن تحيا الآيونات و أن تكون من الآب بأشكال عديدة من المجد، لأنه أعطاه الكيان بجانبه[1] . . . .

3- اعتراف الإيمان : حفظت هذه الرسالة في التاريخ الكنسى لسقراط والتاريخ الكنسى لسوزومينوس ، وفى هذه الرسالة حسب كلام المخالفين الذى لا يمكننا أن نقبله فإن آريوس حجب عقيدته الحقيقية وقال بأن الابن قد ولد قبل كل الدهور لأنه لو كتبت كلمة gegennimenosالمولود" بحذف حرف n منها أي gegenimenos لتغير معناها وأصبحت تعنى المخلوق وليس المولود ، ومما قاله فى هذه الرسالة حسب نقولات المخالفين لآريوس " "نؤمن بإله واحد، الآب القدير; وبالرب يسوع المسيح ابنه، المولود منه قبل كل الدهور، الله الكلمة الذي به صنع كل شيء، ما في السموات وما على الأرض. الذي نزل وصار متجسدا; وتألم، وقام ثانية; وصعد إلى السموات; وسيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات، ونؤمن أيضا بالروح القدس ، وبقيامة الجسد وحياة الدهر الآتي، وبملكوت السموات، وبكنيسة الله الواحدة الجامعة، الممتدة من أقصى الأرض إلى أقصاها. الإيمان الذي استلمناه من الأناجيل المقدسة، حيث يقول الرب لتلاميذه" – اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس".

قلت : لا يمكننا أبدا أن نثق فى مثل هذه الرواية رغم أن كثيرا من المصادر ذكرتها ، ولكن شخصية آريوس ونضاله عن فكره ومعتقده ، وتعرضه للنفى وللتنكيب كل ذلك يجعلنا لا نثق فيما حوته هذه الرسالة .

4- ثاليا : حفظ أثناسيوس في كتاباته بعض نصوص هذا الكتاب . وكلمة "ثالثا" معناها مأدبة أدبية. وقد دبجها كلها تقريبا بأبيات منظومة وبلحن جميل. وفى افتتاحيتها نجده يظهر نفسه أنه مملوء بالعقيدة والعواطف الشجية عندما يتحدث عن الله فيقول :

1- Search for the Christian Doctrine of God, p7.

"حسب إيمان مختارى الله" الذين لهم إدراك ووعى بالله من الرجال القديسين الذين يتصفون بالعقائد المستقيمة، هؤلاء الذين حصلوا على روح الله القدوس. وأنا على الأقل تعلمت هذه الأمور من أناس لهم نصيب كبير من الحكمة. أناس مدهشون من المعلمين لأمور الله. وعموماً فإنهم يعتبرون من الحكماء ، وقد اقتفيت أنا آثار هؤلاء وسرت على دربهم وها أنا أسير فى نفس الطريق، معلماً لنفس هذه المبادئ، أنا الذائع الصيت، ولقد عانيت الكثير لأجل مجد الله، وعرفت الحكمة والمعرفة، وهى التعاليم المستقاة من الله. لم يكن الله أباً فى كل حين بل كان هناك وقت حين كان الله وحده، ولم يكن أباً بعد، بل قد صار أباً فيما بعد... والابن لم يكن موجوداً دائماً. لأن كل الأشياء قد خلقت من العدم، وكان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجوداً، ولم يكن له وجود قبل أن يصير، بل هو نفسه كان له بداية تكوين وخلقة.

ويقول: "لأن الله كان وحده ، ولم يكن هناك الكلمة والحكمة بعد.. من ثم فعندما أراد الله أن يخلقنا، فإنه عندئذ قام بصنع كائن ما وسماه اللوغوس والحكمة والابن، كى يخلقنا بواسطته"

ويقول أيضاً: إنه توجد كلمة أخرى في الله غير الابن. وأيضاً إن الابن قد سمي كلمة وابناً بسبب مشاركته للكلمة حسب النعمة. إنه توجد قوات كثيرة ، إحداها هى قوة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية. أما المسيح فليس هو قوة الله الحقيقية، بل إنه هو أيضاً قوة من تلك التى تدعى قوات. والتى تعتبر إحداها هى قوة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية ، والتى تعتبر أحداها أيضاً الجرادة والدودة، وهى ليست قوة وحسب بل أعلن عنها أيضاً أنها قوة عظيمة . أما القوات الأخرى المتعددة فهى مثل الابن. وأن داود أنشد عنها بقوله: "رب القوات" (مز24:10). والكلمة نفسه أيضاً. مثل كل القوات متغير بحسب طبيعته. ويبقى صالحاً بإرادته الحرة – الى أى وقت يريده. ولكنه حينما يريد، فإنه يستطيع أن يتحول مثلنا، إذ إنه قوة طبيعة متغيرة.

ويقول أيضاً "بما أن الله عرف بسبق علمه بأن الكلمة سيكون صالحاً فقد منحه هذا المجد. الذى حصل عليه مقدما بعد ذلك كإنسان، بسبب الفضيلة، ولهذا فإن الله – بسبب

أعماله التى كان يعرفها بسبق علمه أنها ستعمل – خلقه بمثل هذه الصورة التى صار عليها الآن".

"الكلمة ليس إلهاً حقيقياً، وحتى إن كان يدعى إلهاً لكنه ليس إلهاً حقيقياً. وإنما هو إله بمشاركة النعمة مثل جميع الآخرين، وهكذا فإنه يسمى إلهاً بالاسم فقط. وكما أن جميع الكائنات غريبة عن طبيعة الله ومختلفة عنه فى الجوهر. هكذا الكلمة أيضاً يعتبر غريباً عن جوهر الآب وذاتيته ومختلفاً عنه، بل هو ينتمي إلى الأشياء المخلوقة والمصنوعة، وهو نفسه أحد هذه المخلوقات".

ويقول : " وحتى الابن فإنه لا يرى الآب " وأن " الكلمة لا يستطيع أن يرى أو أن يعرف أباه تماماً بصورة كاملة، ولكن ما يعرفه وما يراه، فإنه يعرفه ويراه بقدر طاقته الذاتية، مثلما نعرف نحن أيضاً بقدر طاقتنا الذاتية". إن الابن ليس فقط لا يعرف تمام المعرفة، إذ هو يعجز عن هذا الإدراك، بل إن الابن نفسه لا يعرف حتى جوهره الخاص به، وأن كل من الآب والابن والروح القدس، جوهره منفصل عن الآخر حسب الطبيعة، وأنهم مقسمون ومتباعدون وغرباء عن بعضهم البعض، وليس لهم شركة أحدهم مع الآخر، إذ إنهم غير متشابهين تماماً فى الجوهر والمجد بلا نهاية". إن الكلمة تعتبر مختلفة تماماً عن كل من الآب والروح القدس[1]".

وهذه نماذج مما ورد فى كتاب الثاليا لآريوس منقولة عن مخالفية بنصها اليونانى مع الترجمة العربية ، وهى إلى حد ما توضح آثاره الفكرية ومذهبه وتعاليمه[2].

1- جمعنا هذه المقتطفات من ردود أثناسيوس على آريوس والآريوسيين ، أنظر : أثناسيوس، الشهادة لألوهية المسيح، 1/ 118; فيلوستورجيوس، التاريخ الكنسي ، 2/2; سانت باتريشيا ، الرد على اعتراضات الآريوسيين للقديس أثناسيوس .

2-The Historical Writings of St. Athanasius according to the Benedictine Text, Oxford: Clarendon, 1881, pp. 259-260; m.simonetti ,arius ,arianisme , deca , pp.238-244.

1. والله نفسه، كما هو، لا يوصف للكل هو وحده ليس له مساو، لا أحد يشبهه، ولا لأحد نفس مجده نحن نطلق عليه الأبدي، في مقابل الذي جُبل بطبيعته نحمده فهو بلا بداية في مقابل الذي له بداية نحن نعبده فهو بلا زمن، في مقابل الذي في زمن جاء للوجود	Αὐτὸς γοῦν ὁ Θεὸς καθό ἐστιν, ἄῤῥητος ἅπασιν ὑπάρχει. Ἴσον, οὐδὲ ὅμοιον, οὐχ ὁμόδοξον ἔχει μόνος οὗτος. Ἀγέννητον δὲ αὐτόν φαμεν διὰ τὸν τὴν φύσιν γεννητόν τοῦτον ἄναρχον ἀνυμνοῦμεν διὰ τὸν ἀρχὴν ἔχοντα, ἀΐδιον δὲ αὐτὸν σέβομεν διὰ τὸν ἐν χρόνῳ γεγαότα.
6. هو الذي بلا بداية، صنع الابن كبداية لكل الأشياء المخلوقة أحدثه كإبن له بولادته له هو [الابن] ليس له تلك الصفات المميزة لوجود الله نفسه لأنه ليس مساوي له، ولا هو نفس من نفس وجوده [جوهره]	Ἀρχὴν τὸν Υἱὸν ἔθηκε τῶν γενητῶν ὁ ἄναρχος, καὶ ἤνεγκεν εἰς Υἱὸν ἑαυτῷ τόνδε τεκνοποιήσας, Ἴδιον οὐδὲν ἔχει τοῦ Θεοῦ καθ' ὑπόστασιν ἰδιότητος· οὐδὲ γάρ ἐστιν ἴσος, ἀλλ' οὐδὲ ὁμοούσιος αὐτῷ.
10. الله هو حكيم، لأنه نفسه معلم الحكمة دليل كافي أن الله غير مرئي للجميع: هو غير مرئي على حد سواء للأشياء التى صنعت بواسطة الإبن، وأيضا	Σοφὸς δέ ἐστιν ὁ Θεός, ὅτι τῆς σοφίας διδάσκαλος αὐτός. Ἱκανὴ δὲ ἀπόδειξις, ὅτι ὁ Θεὸς ἀόρατος ἅπασι, τοῖς τε διὰ Υἱοῦ καὶ αὐτῷ τῷ Υἱῷ ἀόρατος ὁ αὐτός.

التى صنعن للإبن نفسه	
13. سأقول على وجه التحديد كيف أن غير المرئي هو مرئي بواسطة الإبن: عبر هذه القوة التي بواسطة الله قادر على الرؤية، كل منهما وفقًا لمقداره الإبن يقدر أن يتحمل رؤية الآب، كما هو مقدر	Ῥητῶς δὲ λέξω, πῶς τῷ Υἱῷ ὁρᾶται ὁ ἀόρατος,Τῇ δυνάμει ᾗ δύναται ὁ Θεὸς ἰδεῖν ἰδίοις τε μέτροις ὑπομένει ὁ Υἱὸς ἰδεῖν τὸν Πατέρα, ὡς θέμις ἐστίν.
16. إذًا هناك ثالوث، لكن غير متساوٍ في المجد كياناتهم (جواهرهم) ليست مختلطة فيما بينها بقدر أمجادهم، واحد بلا حدود أكثر مجدًا من الآخر الآب في جوهرة مختلف عن الإبن، لأنه موجود بلا بداية	Ἤγουν Τριάς ἐστι δόξαις οὐχ ὁμοίαις· ἀνεπίμικτοι ἑαυταῖς εἰσιν αἱ ὑποστάσεις αὐτῶν,μία τῆς μιᾶς ἐνδοξοτέρα δόξαις ἐπ’ ἄπειρον. Ξένος τοῦ Υἱοῦ κατ’ οὐσίαν ὁ Πατήρ, ὅτι ἄναρχος ὑπάρχει.
20. افهموا أن الوحدانية [أبديًا] كانت، لكن الازداوجية لم تكن قبل أن تأتي لحيز الوجود أنها تعقب هذا مباشرة، بالرغم أن الإبن لم يكن، الآب كان لا يزال الله ومن ثم الإبن كونه [غير ازلي] جاء للوجود بإرادة الآب هو الإله الوحيد الذي وُلد، وهو	Σύνες ὅτι ἡ μονὰς ἦν· ἡ δυὰς δὲ οὐκ ἦν, πρὶν ὑπάρξῃ. Αὐτίκα γοῦν, Υἱοῦ μὴ ὄντος, ὁ Πατὴρ Θεός ἐστι. Λοιπὸν ὁ Υἱὸς οὐκ ὢν (ὑπῆρξε δὲ θελήσει πατρώᾳ), μονογενὴς Θεός ἐστι, καὶ ἑκατέρων ἀλλότριος οὗτος.

مختلف عن [كل] الآخرين	
24. الحكمة أصبحت حكمة بإرادة الله الحكيم ولهذا يمكن تصوره بطريق لا تحصى. هو روح قوة، حكمة، مجد الله، حق، صورة، وكلمة أفهموا أيضًا أنه يمكن تصوره كشعاع (بهاء) ونور الواحد الفائق يقدر أن يلد واحدًا مساويًا للإبن لكن ليس واحدًا بنفس الأهمية، أو التفوق، أو العظمة بمشيئة الله، الإبن له العظمة والصفات التي له (للإبن) وجوده منذ متي ومن أين ومنذ ذلك الحين– كله من الله إنه، على الرغم أنه إله قوي، يسبح جزئيًا الذي يفوقه	Ἡ Σοφία σοφία ὑπῆρξε σοφοῦ Θεοῦ θελήσει. Ἐπινοεῖται γοῦν μυρίαις ὅσαις ἐπινοίαις Πνεῦμα, δύναμις, σοφία, δόξα Θεοῦ, ἀλήθειά τε καὶ εἰκὼν καὶ Λόγος οὗτος. Σύνες, ὅτι καὶ ἀπαύγασμα καὶ φῶς ἐπινοεῖται. Ἴσον μὲν τοῦ Υἱοῦ γεννᾷν δυνατός ἐστιν ὁ κρείττων· Διαφορώτερον δὲ, ἢ κρείττονα, ἢ μείζονα, οὐχί. Θεοῦ θελήσει ὁ Υἱὸς ἡλίκος καὶ ὅσος ἐστίν,ἐξ ὅτε καὶ ἀφ’ οὗ, καὶ ἀπὸ τότε ἐκ τοῦ Θεοῦ ὑπέστη, ἰσχυρὸς Θεὸς ὢν, τὸν κρείττονα ἐκ μέρους ὑμνεῖ.
33. بإختصار، الله لا يمكن التعبير عنه (لا ينطق) في الإبن لأنه هو في نفسه هو ما يكونه، هذا، لايمكن وصفه	Συνελόντι εἰπεῖν τῷ Υἱῷ ὁ Θεὸς ἄρρητος ὑπάρχει, ἔστι γὰρ ἑαυτῷ ὅ ἐστι, τοῦτ’ ἔστιν ἄλεκτος· ὥστε οὐδὲν τῶν λεγομένων κατά τε

κατάληψιν συνίει ἐξειπεῖν ὁ Υἱός. Ἀδύνατα γὰρ αὐτῷ τὸν Πατέρα τε ἐξιχνιάσαι, ὅς ἐστιν ἐφ' ἑαυτοῦ. Αὐτὸς γὰρ ὁ Υἱὸς τὴν ἑαυτοῦ οὐσίαν οὐκ οἶδεν, Υἱὸς γὰρ ὢν, θελήσει Πατρὸς ὑπῆρξεν ἀληθῶς.	لهذا فالإبن لا يفهم كل هذه الأمور، أو له الفهم لتفسيرها لأنه من المستحيل عليه يسبر أغوار الآب، الذي هو وحده لأن الإبن نفسه لا يعرف حتى جوهر نفسه لكونه إبن، وجوده بالتأكيد عند مشيئة الآب
Τίς γοῦν λόγος συγχωρεῖ τὸν ἐκ Πατρὸς ὄντα αὐτὸν τὸν γεννήσαντα γνῶναι ἐν καταλήψει; δῆλον γὰρ, ὅτι τὸ ἀρχὴν ἔχον, τὸν ἄναρχον, ὡς ἔστιν,ἐμπερινοῆσαι ἢ ἐμπεριδράξασθαι, οὐχ οἷόν τέ ἐστιν.	39. ماهو المنطق الذي يسمح، للذي من الآب أن يفهم ويعرف أباه؟ لأنه من الجلي، أن الذي له بداية لا يستطيع أن يتصور أو يدرك وجود الذي له ليس بداية

وقد أشار أثناسيوس إلى أنه كان لآريوس مجموعة أخرى من الأشعار لكل مناسبة من مناسبات الحياة. (كما) في المجموعة التي تسمى "البحرية"، "الرحى" ، "الرحلة".. الخ ، ووفقا لما يقوله أثناسيوس الخصم اللدود لآريوس فإن كل هذه القصائد قد دبجت بلهجة ونغمة مثل التي كان يكتب بها سوتيادوس أشعاره القومية.. التي كانوا يتغنون بها في مآدبهم.

ثانيا : الحوار والمناظرة : وقعت بين آريوس وأثناسيوس العديد من الحوارات ، ومن جملتها هذا الحوار الذى وجدناه فى أحد المصادر المسيحية المؤيدة لأثناسيوس ، ورغم ذلك فإنه بلا شك يمثل أثرا فكريا واضحا للآريوسيين ، وهذا نصه :

قال آريوس:" أن سليمان الملك تكلم بلسان المسيح قائلاً:"خلقنى أول طرقه"(أم8 : 22).

قال أثناسيوس : معنى ذلك هو أن الرب ولدنى لأن النص العبرانى يذكر عوض خلقنى (قنانى) اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِه أى ولدنى كما يقال قنى الإله ولداً أى ولد له ولد ويؤيد هذا التفسير ما ورد فى نفس الفصل إذ يقول : مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ، مُنْذُ الْبَدْءِ، مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ. 24 إِذْ لَمْ يَكُنْ غَمْرٌ أُبْدِئْتُ. إِذْ لَمْ تَكُنْ يَنَابِيعُ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ. 25 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَرَّرَتِ الْجِبَالُ، قَبْلَ التِّلاَلِ أُبْدِئْتُ. 26 إِذْ لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ الأَرْضَ بَعْدُ وَلاَ الْبَرَارِيَّ وَلاَ أَوَّلَ أَعْفَارِ الْمَسْكُونَةِ. 27 لَمَّا ثَبَّتَ السَّمَاوَاتِ كُنْتُ هُنَاكَ (أمثال 8 : 23 – 27) أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. (مز2: 7 ( )أعمال13: 33) (العبرانيين 1: 5) .

قال آريوس : " إن الإبن قال : ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنّى (يوحنا 14: 28) فعلى هذا يكون الإبن أصغر من الآب ولا يساويه فى الجوهر.

قال أثناسيوس - : " إن الإبن دون الآب لكونه تجسد كما يتضح ذلك من نفس الآية [لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنّى] أى أنه بناسوته يمضى إلى ألاب الذى هو أعظم من ناسوت الإبن , وإلا كيف يتكلم بلاهوته أنه يمضى إلى الآب حال كونه فى حضن ألآب (يو 1: 18) , ومما يؤيد ذلك أنه فى نفس الفصل (ألإصحاح) يتكلم باللاهوت ويبين مساواته لآبيه بالجوهر بقوله [من رآنى فقد رأى الاب وأنا فى ألاب والآب فى وكل ما للآب فهو لى وكل مالى فهو له لأننه نحن والآب واحد] .

قال آريوس - : أن المسيح قال [«دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْض (متى 28 : 18] فذكر هنا أنه نال السلطان من أبيه لأنه أعظم منه وغير مساو له.

قال أثناسيوس - : " يعنى أن الإبن بولادته الأزلية من الآب قد ملك كل سلطان أو أنه قال ذلك حسب كونه متأنساً لأنه فى أثر هذا القول ساوى نفسه بأبيه بقوله لتلاميذه : فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدس (متى 28 : 19).

قال آريوس - : " أن المسيح نسب إلى ذاته عدم معرفة ساعة الدينونة بقولة لتلاميذه [32 «وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ. 33 اُنْظُرُوا! اِسْهَرُوا وَصَلُّوا، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْت (مرقس 13 : 32) إذا كان الابن لا يعرف الدينونة فكيف يكون إلهاً.

قال أثناسيوس - : " أن المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا السر الذى لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه كما يقول صاحب السر أنى لا أعلم هذه المسألة أى لا أعلمها علما يباح به لأن بطرس قال له : يارب أنت تعرف كل شئ !!.

قال آريوس - : إن المسيح قال [لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي (يوحنا 6 : 38)] فإذاً هو عبد للآب ودونه.

قال أثناسيوس - : " أن المسيح تكلم فى مواضع كثيرة بحسب كونه إلهاً صار أنساناً كقوله [إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْس (متى 26 : 42) , (قَائِلاً:«إِلُوِي، إِلُوِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ (مر 15 : 43) , ْ:إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ». (يوحنا 20 : 17) ، ومثل ذلك صلاته إلى أبيه مراراً كثيرة وبصفته كونه إلهاً قال "من رأنى فقد رأى الأب " و " أنا فى الأب والأب فىّ " و " أنا والأب واحد " وفى نفس الفصل الوارد فيه أية الأعتراض قال " كما أن الأب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الإبن يحيى من يشاء ليكرم الجميع الإبن كما يكرمون الأب " وغير ذلك كثير من أقوال المسيح التى تصرح بمساواة لاهوته للاهوت أبيه فى الأزلية والعظمة والقدرة.

قال آريوس : إن يوحنا قال فى بشارته عن الإبن " كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء ممن كان " (يو 1 : 3) فهذا القول يدل على أن الإبن أله أستخدمها الأب لصنع الخلائق فالإبن إذاً ليس إلهاً خالقاً.

قال أثناسيوس : إن الأب خلق بالإبن أى بواسطة الإبن الخالق كما يقال بنى الملك المدينة بأبنه فالملك وابنه يعدان بانيى المدينة ولا سيما أن يوحنا صرح بلاهوت الإبن وأزليته ومساواته لأبيه فى الجوهر والقدرة والإبداع فى بشارته وفى رسائله حيث قال " الذى كان منذ البدء الذى سمعناه الذى رأيناه الذى لمسته ايدينا " (1يو 1:1) وأيضاً " الشهود فى السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد " (1يو 5 : 7) وفى الرؤيا " أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شىء (رؤ 1 : 8) وقوله " للجالس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الأبدين " (رؤ 5 : 13) وفى أول النص الوارد فيه أية الأعتراض نص البشير بجلاء عن لاهوت الإبن بقوله " فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله " فكيف يكون معنى قوله بعد هذا التصريح أن الإبن ليس بإله خالق ولكن أله لصنع الخلائق وقد أعترف داود النبى بأن الإبن خالق كما قال " أنت يارب أسست الأرض والسموات صنع يديك " ولا ريب أن هذا القول يخاطب به النبى " إبن الله " كما فهم ذلك الرسول (عب 1 : 10) فقد إتضح أن " إبن الله " خالق نظير أبيه وإله مساوٍ له فى الجوهر والعظمة والمجد[1].

لم تقتصر الحوارات والمناظرات على ما وقع بين آريوس وأثناسيوس . بل وجدنا نشاطا فكريا للآريوسية تعدى حدود الديانة المسيحية ، وهو ما يتضح من فعل آتيوس ذلكم الرجل الآريوسى العظيم الذى يمم وجهه من أنطاكية إلى الإسكندرية عام 340م ليقف فى وجه أباطيل أحد المانويين النشطين وهو أفثونيوس، الذي كان قد نال شهرة كبيرة ، وبالفعل وقعت المناظرة بين آتيوس الآريوسى ، وبين أفثونيوس المانوى ، وانتهت لصالح آتيوس حسب تعليق فيلوستورجيوس والذى جاء فيه : " إن آيتيوس بفصاحته وحجته القوية أخرس منافسه المانوى الذي بعدما كان يحظى بشهرة واسعة بين أقرأنه تبدلت سيرته الطيبة إلى الخزي والعار[2] " .

1-الأنبا أيسيدورس ، الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، 1/ 288 – 289.

2-The Roots of Egyptian Christinity,p.316.

ثالثا : الردود الإثناسيوسية على الآريوسية : اتسمت ردود أثناسيوس على الآريوسيين بالقسوة والخروج عن ما يمكن أن يكون عليه القساوسة فوصف الآريوسيين بالشياطين والدجالين والكلاب والذئاب والأفاعى والشلق وعديمى الإيمان ، واليهود المعاصرون ، والأغبياء[1] ، وغيره مما سيرد فى كلامه الذى سنطرحه لاحقا.

وقد عقب أثناسيوس فى ردوده على آريوس على أثر إيراده العديد من نصوص مصنفه ثاليا بألفاظ تحمل فى طياتها النقد الفج والغيظ والتشفى ومنها " وهكذا بمثل هذه الكلمات يزعم ذلك العديم التقوى أن "الابن منفصل بذاته وليس له شركة مع الآب اطلاقاً".

وقوله " هذه مقتطفات من النصوص الأسطورية كما جاءت فى كتابات آريوس الهزلية"

وقوله " فمن هو الذى يسمع مثل هذه الأقوال، ومثل هذا النغم فى ثاليا، ولا يبغض آريوس وهو يقول بتمثيليته هذه؟ فمن لا يعتبر هذا الرجل مثل الحية التى قدمت المشورة للمرأة؟ ، ومن لا يرى – وهو يقرأ ما كتبه – تجديفه وتضليله، مثلما فعلت الحية وهى تحاول إغواء المرأة؟ فمن لا يفزع من هول هذه التجاديف؟.فكما يقول النبى "السماء تنذهل، والأرض تقشعر" (أر12:2) من جراء التعدى على الشريعة. أما الشمس فإذ لم تحتمل تلك الإهانات المثيرة التي وقعت على جسد الرب المشترك لنا جميعاً. والتي احتملها هو نفسه من أجلنا بإرادته. فإنها استدارت وحجبت أشعتها. وجعلت ذلك اليوم بلا شمس وإزاء تجديفات آريوس، كيف لا تتمرد حياة البشرية فتصاب بعدم النطق، فيصمون آذانهم، ويغلقون عيونهم. هرباً من سماع هذه التجديفات. ومن رؤية وجه كاتبها؟ ، وبالأحرى كيف لا يصرخ الرب ذاته ضد هؤلاء العديمى التقوى، بل والجاحدين أيضاً.

وقوله : " ومن أجل ذلك السبب أيضاً، فإن المجمع المسكونى طرد، آريوس الذى علم بهذه الأمور، من الكنيسة وحرمه، إذ لم يحتمل المجمع كفره وجحوده، ومنذ ذلك الحين، فقد اعتبر ضلال آريوس. هرطقة تفوق سائر الهرطقات، حيث لقب بعدو المسيح ، وممهداً للمسيح الدجال.

---

[1]; 25-21 ص، المقالة الثالثة : أنظر - The religious of free protestant german Unitarians , germany , pp.114.

وقوله : " الحكم ضد الآريوسية، يعتبر فى ذاته كاف جداً لأن يجعل الناس يهربون بعيداً عن هذه الهرطقة الكافرة".

ويتحدث أثناسيوس فى رده على آريوس والآريوسية فى مقالته الأولى قائلا : وحيث أن واحد من الهرطقات، وهى الهرطقة الأخيرة – التى ظهرت الآن كتمهيد لضد المسيح (المسيح الدجال) – وهى التى – تسمى الآريوسية، وإذ هى باطلة وخبيثة وماكرة، فقد لاحظت أن أخواتها من الهراطقات الأخرى الأقدم منها، قد فضحت جهاراً، ولذلك فأنها – مثل أبيها – الشيطان – تظاهرت بلبس كلمات الكتاب المقدس، لتحاول الدخول مرة أخرى إلى فردوس الكنيسة لكي تظهر كأنها مسيحية بغير وجه حق، وأن تخدع البعض لكى يفكروا ضد المسيح، معتمدة على أباطيلها الزائفة. إذ ليس فيها شئ من الصواب ، وها هى قد أغرت بعض الحمقى من هؤلاء الذين لم يهلكوا فقط بالسماع بل أيضاً – مثل حواء – أخذوا وتذوقوا، حتى أنهم – بسبب جهلهم وعدم درايتهم صاروا يعتبرون المر حلوا (أش2:5) وأخذوا يطلقون على هرطقتهم الشنيعة أنها حسنة ، ولهذا أعتقدت – بعد أن طلبتم منى – أنه صار ضرورياً أن أفتت قوة درع هذه الهرطقة الدنسة، وأن أكشف عن نتانة حماقتها، وعفن وقاحتها، لكي يتجنبها الذين ما زالوا بعيدين عن هذه البدعة، وأيضاً لكي يندم الذين خدعوا بها، فيتوبوا. ولكي يدركوا بعيون قلوبهم المفتوحة أنه كما أن الظلام ليس نورا، والكذب ليس حقيقة، هكذا فليست الآريوسية بدعة حسنة.

ويقول : أى شبه رآه هؤلاء إذن، بين هذه البدعة وبين الإيمان الحقيقي. حتى أنهم يقولون بأنه لا يوجد شئ ردئ فيما يعلمه أولئك (المبتدعون)؟ ومعنى هذا في الحقيقة، أنهم يعتبرون قيافا مسيحياً. وأيضاً لا يزالون يحسبون يهوذا الخائن بين الرسل، ويقولون عن أولئك الذين طالبوا بإطلاق سراح باراباس بدلاً من المخلص، إنهم ما اقترفوا أي أثم، وهم يمدحون هيمينايس والإسكندر[1] على أعتقادهما القويم، ويعتبرون أن الرسول يكذب بخصوصهما.إلا أن هذه الأشياء لا يستطيع أن يحتمل المسيحى سماعها، كما أن ذلك الذى يجرؤ أن يتحدث بمثل هذه الأقوال، لا يمكن إعتباره سليم العقل والإدراك .فبالنسبة

[1]- هيمينايس والاسكندر اثنان من المعلمين فى المسيحية الأولى،حرمهما بولس الرسول من الخدمة فى الكنيسة لأنهما آمنا وعلما بأن القيامة قد صارت.

للآريوسيين يعتبر آريوس لديهم بدلاً من المسيح، مثل مانى عند المانويين، وفى مقابل موسى والقديسين الأخرين عندهم سوتيادس[1] الذى كان يهزأ بالاممين (الوثنيين). وكذلك ابنة هيروديا[2].لأن آريوس وهو يكتب الثاليا كان يقلد الأسلوب النسائى المنسوب إلى سوتيادس، وكما أبهرت أبنة هيروديا هيرودس برقصها، كذلك آريوس سخر الرقص واللهو فى التشهير والافتراء على المخلص.. وهو قد فعل هذا. من ناحية لكى يموء ويضلل عقول هؤلاء الذين انغمسوا فى الهرطقة لدرجة الجنون. ومن ناحية أخرى لكي يبدل اسم رب المجد إلى شبه صورة إنسان زائل (رو1:23). وهكذا يتخذ مشايعوه اسم الآريوسيين بدلاً من المسيحيين ويكون هذا دليلاً قاطعاً على كفرهم.

ويقول : وحيث أننا جميعاً من المسيح يقينا .لذلك فإننا ندعى مسيحيين .وقديماً عندما طرد ماركيون وألقى بعيداً لأنه ابتدع الهرطقة، فإن هؤلاء الذين كانوا معه ورفضوه عندما حرم من الكنيسة ظلوا مسيحيين، فى حين أن الذين تبعوا مركيون وشايعوه لم يسموا بعد مسيحيين بل لقبوا ماركيونيين .وهكذا أيضاً فالنتينوس وباسيليدس ومانى وسيمون الساحر، فأنهم نقلوا وأعطوا لأتباعهم أسماءهم الخاصة، ولذلك صار البعض يلقبون فالنتينيين والبعض الآخر باسيليديين وآخرين سيمونيين. والبعض الآخر الذين هم من فريجيا لقبوا فريجيين، والذين من نوفاتيس نوفاتيين.

وهكذا أيضاً ميليتيوس عندما طره وحرمه بطرس الأسقف والشهيد، لم يعد يطلق على أتباعه اسم مسيحيين بل ميليتيين. وهكذا فقد حدث نفس الشئ أيضاً حينما حرم الكسندروس المطوب الذكر آريوس، فإن الذين ظلوا مع الكسندروس بقوا مسيحيين أما الذين خرجوا منشقين مع آريوس، فإنهم تخلوا عن اسم المخلص لنا نحن الذين بقينا مع الكسندروس، ومن ثم أطلق على أولئك اسم الآريوسيين. وها هو الآن بعد موت الكسندروس، فإن الذين لهم شركة مع خليفته أثناسيوس، وأولئك الذين ارتبط أثناسيوس نفسه معهم فى الشركة الكنسية لهم نفس الميزة.

1- سوتيادس شاعر يونانى قديم من مارونيا، ذاع صيته أيام حكم بطليموس فيلاديفوس. وكان موضوع أشعاره من الميثولوجيا اليونانية ذات الأسلوب الفاضح الوقح، ولذلك سمى بالشاعر الداعر.

2- ابنة هيروديا، كانت قد ابهجت صدر هيرودس برقصاتها المغرية لدرجة أنها أخبرته أن يقدم لها رأس يوحنا السابق على طبق أنظر متى 14:1 – 12، مر6:17 – 29.

ويقول : أما أولئك الذين يتبعون الهراطقة، فحتى لو كان لديهم آلاف الخلفاء، فأنهم حتماً يتخذون لهم اسم من ابتدع الهرطقة، وهكذا فأنه حتى بعد أن مات آريوس. رغم أن عدداً كبيراً خلفه فى هرطقته، إلا أن هؤلاء الذين اعتقدوا بتعاليم ذلك الرجل والمعروفين بمشايعتهم لآريوس، فأنهم يسمون آريوسيون. والبرهان العجيب على هذا، أن أولئك الوثنيين الذين دخلوا الى الكنيسة – ولا يزالون يدخلون فيها حتى الآن، فإذ يهجرون ضلالة الأوثان، فأنهم لا يدعون بأسماء الذين علموهم أصول الإيمان. بل يدعون باسم المخلص، وصاروا يدعون باسم المخلص، وصاروا مسيحيين بدلاً من وثنيين، بينما أولئك الذين ينضمون إلى الهراطقة. والذين يتحولون من الكنيسة الى الهرطقة، فأنهم يهجرون اسم المسيح، وتبعاً لذلك يتخذون أسم الآريوسيين، إذ لم يعد لهم إيمان بالمسيح قد، بل صاروا خلفاء لجنون آريوس وخبله.

ويقول : كيف يمكن إذن أن يكونوا مسيحيين أولئك الذين هم ليسوا بمسيحيين بل هم مجانين الآريوسية؟. أو كيف ينتمى هؤلاء الى الكنيسة الجامعة، وهم قد انفضوا عن الإيمان الرسولى ونبذوه وصاروا مبتدعين شروراً جديدة، وبعد أن نبذوا أقوال الكتابات الالهية، فأنهم يسمون ثاليا آريوس حمة جديدة؟ وما يقولونه يثبت حقاً أنهم يبشرون بهرطقة جديدة. ولهذا السبب أيضاً فقان الانسان ليدهش، أنه فى حين أن كثيرين كتبوا مؤلفات كثيرة وعظات أكثر عدداً حول العهدين القديم والجديد، فليس فى أى منها شئ مما ابتدعته ثاليا، بل حتى لا يوجد شئ منها عند كبار الأمميين وعظمائهم ...ولكنها موجودة فقط بين أولئك الذين ينشدون ويتغنون وهم ثمالى وسكارى بين قرقعة الكؤوس والصخب والسخرية أثناء عبثهم ولهوهم ليثيروا ضحك الآخرين.

إن آريوس الغريب، فى الواقع لم يقلد أحداً وقوراً، وإذ كان يجهل كتابات الرجال الوقورين من عظماء القوم، فإنه كان يختلس كثيراً من الهرطقات الأخرى ، ولا يوجد له منافس فى مجال الهزل والسخرية غير سوتيادس وحده .لأنه ماذا كان فى وسعه أن يعمل سوى أن يرغب فى التحول ضد المخلص .بأناشيده الراقصة، معبراً بثرثرته المموقتة وطنطنته البغيضة عن كفره وإلحاده، مستخدماً فى ذلك رخامة ألحانه المنحرفة الفاسقة؟ وهذا كى يتأكد ويتضح فساد ما كتبه.

ثم يقول ..... فهو مثل الثعبان الذى يلتف حول نفسه صاعداً هابطاً، ولكنه – (أى آريوس) قد سقط فى ضلال الفريسيين عندما أرادوا مخالفة الشريعة، فأنهم تظاهروا بأنهم غيورون على أقوال الناموس .وعندما أرادوا أنكار الرب المنتظر، بينما كان هو نفسه حاضراً بينهم ...فإنهم ادعوا بأنهم يستشهدون بالله. ولكنه أثبتوا بذلك أنهم يجدفون بقولهم... هكذا أيضاً آريوس المزيف والذى حذا حذو سوتيادس، فأنه يزعم أنه يتحدث عن الله، مستخدماً كلمات الكتاب المقدس، ولكنه أثبت من كل النواحى أنه كافر وذلك بإنكاره الابن، معتبراً أياه من بين المخلوقات.

ومن جملة الردود الأثناسيوسية الرد على المفاضلة بين الإبن المولود والآب غير مولود فالآريوسيون يقولون أن الآب متفوق على الابن (وأيضًا على الروح القدس لأن الروح القدس منبثق، أما الآب فغير منبثق) ، ويقول آريوس إن الإبن لا يمكن أن يكون مساويا للآب في الجوهر لأن الآب جوهره غير مولود والابن جوهره مولود.

وقد استخدم أثناسيوس تشبيه الينبوع والتيار في وصف العلاقة بين الآب والابن. فقال الينبوع والتيار هما نفس الماء الواحد (مياه واحدة). الينبوع هو والد والتيار هو مولود. ولكن ينبوع الماء لا يلد تيارًا من الزيت أو الزئبق أو أي سائل آخر. وبهذا لا نرى اختلافًا في الجوهر بين الينبوع والتيار. فلا يمكن لينبوع ماء حلو أن ينتج تيارًا من ماء مر أو ماء مالح.

قال أثناسيوس: [ولكن كما أن النهر الخارج من الينبوع لا ينفصل عنه، وبالرغم من ذلك فإن هناك بالفعل شيئين مرئيين واسمين. لأن الآب ليس هو الابن، كما أن الابن ليس هو الآب، فالآب هو أب الابن، والابن هو ابن الآب. وكما أن الينبوع ليس هو النهر، والنهر ليس هو الينبوع، ولكن لكليهما نفس الماء الواحد الذي يسرى في مجرى من الينبوع إلى النهر، وهكذا فإن لاهوت الآب ينتقل في الابن بلا تدفق أو انقسام. لأن السيد المسيح يقول "خرجت من الآب" وأتيتُ من عند الآب. ولكنه دائمًا أبدًا مع الآب، وهو في حضن الآب. وحضن الآب لا يَخْلُ أبدًا من الإبن بحسب ألوهيته.][1]. لأن القديس يوحنا الإنجيلى يقول "الله لم يره أحد قط، وحيد الجنس الإله الذي هو في حضن الآب، هو خبّر" (يو1: 18).

1–P. Schaff & H. Wace, N & P. N. Fathers,series, 2, Vol IV, Saint Athanasius, Exposito Fidei (Statement of Faith), Eerdmans Pub. 1978, P. 84,85.

فحضن الآب لا يخلو أبدًا من الابن حتى حينما تجسد عندما أرسله الآب إلى العالم وقال "خرجت من عند الآب" (يو16: 28).

ويشير أثناسيوس إلى أن الآب هو ينبوع الحكمة وينبوع الحياة ، وأن الابن هو الحكمة وهو الحياة. فيقول: [إن كان يقال عن الله أنه ينبوع حكمة وحياة كما جاء في سفر أرمياء "تركونى أنا ينبوع المياه الحية" (أر2: 13) وأيضًا "كرسى مجد مرتفع من الابتداء هو موضع مقدسنا. أيها الرب رجاء إسرائيل كل الذين يتركونك يخزون. والحائدون عنى في التراب يُكتبون لأنهم تركوا الرب ينبوع المياه الحية" (أر17: 12، 13). وقد كتب في باروخ "إنك قد هجرت ينبوع الحكمة" (باروخ3: 12) وهذا يتضمن أن الحياة والحكمة لم يكونا غريبين عن جوهر الينبوع بل هما خاصة له (خواص له)، ولم يكونا أبدًا غير موجودين، بل كانا دائمًا موجودين. والآن فإن الابن هو كل هذه الأشياء وهو الذي يقول "أنا هو.. الحياة" (يو14: 6).. كيف إذًا لا يكون كافرًا من يقول "كان وقت ما عندما لم يكن الابن فيه موجودًا لأن هذا مثل الذي يقول تمامًا كان هناك وقت كان فيه الينبوع جافًا خاليًا من الحياة والحكمة. ولكن مثل هذا الينبوع لا يكون ينبوعًا، لأن الذي لا يلد من ذاته (أى من نبعه الخاص) لا يكون ينبوعًا.][1].

وأما بشأن الروح القدس فقد أعلن أثناسيوس منذ البداية رأيه في كلام الآريوسيين بخصوص الروح القدس[2] وذلك في رسالته الأولى ضد الآريوسية (الفصل الثامن) فقال:

1- المقالة الأولى ضد الآريوسية، فصل 6 : 19.

2- تمثلت أفكار الآريوسيين بشأن الروح القدس فى التالى : "نحن نؤمن بالروح القدس، الباراقليط، روح الحق، الموعود به من الأنبياء ومن الرب، وأرسل إلى الرسل ليعلمهم كل شىء وليعزى ويقدس ويكمل المؤمنين. والابن هو الذي منح الروح القدس للكنيسة بحسب إرادة الله. لذلك نحن نحرم كل من يقول أن الروح القدس هو إله غير مخلوق، ونحرم كل من يخلط بين شخص الروح القدس وشخص الابن أو يقول أنه من الآب، أو يقول إنه من الابن الذي هو به (وليس منه)، أي أرسل به إلى العالم. ونحن نرفض الاصطلاح غير الكتابى "جوهر واحد" للآب والابن والروح القدس" ; وقد كتبت هذه التعاريف في الفترة ما بين مجمع نيقية سنة 325م وبين سنة360م. فتمكن كل من الآريوسيين وأيضًا اليوسابيين من شرح وجهة نظرهم باستفاضة تجاه إنكارهم للاهوت الروح القدس ضمن قوانينهم الكثيرة التي خرجوا بها للعالم بعد المجامع التي عقدوها.

"كيف يمكن أن يكون إيمانه بالروح القدس إيمانًا صحيحًا، طالما يتكلم بتجديف على الابن[1]" منكرًا مساواته للآب في الجوهر.

وبعد عودة القديس أثناسيوس إلى الإسكندرية من منفاه عقد مجمعًا وأصدر منشورًا مجمعيًا يحمل أول حكم بالإدانة تصدره الكنيسة ضد عدم الإيمان بلاهوت الروح القدس، وقد قبل الأسقف بولينوس في أنطاكية الوثيقة بكل فرح ووقّع عليها بإمضائه. وقد أعلن مجمع الإسكندرية في هذه الوثيقة بكل وضوح أن الروح القدس واحد في الجوهر مع الآب والابن (إذيرتون تيس أوسياس تو أيو كى باتروس). لم يقل (هومو أسيون توباترى) لأن عبارة "واحد في الجوهر" تعتبر أخف، حيث أن الوضع كان ملتهبًا بشدة نتيجة وجود أنصاف الآريوسيين في منطقة أنطاكيا (مثل يوسابيوس النيقوميدى ويوسابيوس القيصري[2]).

كما قاوم أثناسيوس في رسالته الثالثة ضد الآريوسيين فكرة أن الروح القدس هو الذي يوحّد الآب بالابن، أو يمثل الرباط بين الآب والابن، لأن الروح القدس لو كان هو مجرد رباط الوحدة بين الآب والابن، فهو إذن ليس أقنوم وفى ذلك يقول أثناسيوس: "لأن الابن لا يأخذ الروح القدس لكي يصير هو أيضًا في الآب، ولا الابن يتقَّبل الروح القدس بل بالحرى هو بنفسه يمّد به الجميع، والروح القدس لا يوحَّد الكلمة بالآب (The Spirit does not unite the Word to the Father).. فالابن هو في الآب لأنه كلمته وشعاعه[3]."

وقد انبرى في هذه الحقبة مقدونيوس وماراثونيوس اللذان رفضا بشدة القول بلاهوت الروح القدس، وظلا يعلِّمان أن الروح القدس مخلوق وخادم الله، ولذلك دعيا هما وجماعتهما بمحاربى الروح القدس الذين حرمتهم الكنيسة آنئذ.

1–N. & P. N. Fathers, series 2, Vol. IV, St Athanasius, Eerdmans Pub. Com., Grand Rapids, Michigan, reprinted 1978, Four Discourses Against Arians, Discourse 1, chapter III, par. 8, p. 310.

2 N & P. N. Fathers, series 2, Vol. IV, St Athanasius, Eerdmans Pub. Com., Grand Rapids, Michigan, reprinted 1978, Expositio Fidei, p. 84.

3– N & P. N. Fathers, series 2, Vol. IV, St Athanasius, Eerdmans Pub, discourse III, chapter 25, par 24, p. 407.

كان الشغل الشاغل لأثناسيوس الذي من أجله كرس كل وقته وقواه وجهوده هو : "الشهادة لألوهية المسيح" والتي بدونها لم يكن يتصور حدوث أي فداء أو خلاص للإنسان ، وهى الأمور التى فندها آريوس وأثبت بطلانها بعد أن أتى عليها من القواعد .

وتعتبر المقالات الأربعة ضد الآريوسيين هي الكتاب الرئيس من بين كتابات القديس أثناسيوس اللاهوتية التي يدافع فيها عن ألوهية المسيح ضد الآريوسية[1] .فقد طلب القديس سرابيون (أسقف تيميس بشمال الدلتا صديق القديس أثناسيوس والمعاصر له) في رسالة بعث بها إلى القديس أثناسيوس، طلب منه ثلاثة أشياء هي:

1- تاريخ للأحداث الجارية (أى تاريخ البدعة الآريوسية المعاصرة وقتئذ.

2- شرح ومناقشة للبدعة الآريوسية ورد على أفكارها.

3-تاريخ دقيق حول موت آريوس.

---

[1]- صدرت الترجمة العربية للمقالة الأولى سنة 1984، وهي أول ترجمة عربية لهذه المقالة ، وقد وضع لها بالعربية عنوان ثاني هو " الشهادة لألوهية المسيح." ; وكانت قد صدرت الطبعة الأولى للمقالة الأولى ضد الآريوسيين في ديسمبر 1984 وعدد صفحاتها 136 صفحة من القطع اليوناني المتوسط وتمت الترجمة عن مجموعة الآباء باليونانية مجلد26، Migne (PG 26) وعن " سلسلة آباء الكنيسة اليونانية (E.P.E) " الصادرة عن " دار نشر الآباء" بتسالونيكي باليونان سنة 1974 ، وقام بالترجمة الأستاذ صموئيل كامل عبد السيد والدكتور نصحي عبد الشهيد ونشرها مركز دراسات الآباء بالقاهرة ;وصدرت الطبعة الأولى " للمقالة الثانية ضد الآريوسيين" في أكتوبر 1987 في 124 صفحة من القطع المتوسط. وتمت الترجمة عن مجموعة الآباء باليونانية مجلد26 (Migne, P.G26)، وعن " سلسلة آباء الكنيسة اليونانية" (E.P.E) الصادرة عن " دار نشر الآباء بتسالونيكي باليونان سنة 1974 ، وقام بالترجمة الأستاذ صموئيل كامل عبد السيد والدكتور نصحي عبد الشهيد ونشرها مركز دراسات الآباء بالقاهرة ; وصدرت طبعة ثانية منقحة " للمقالة الثانية ضد الآريوسيين"، هذا العام 1998في 122صفحة ; وصدرت " المقالة الثالثة" ضد الآريوسيين عام 1994 في 120 صفحة من القطع المتوسط عن مجموعة الآباء باليونانية مجلد 26(Migne, P.G26)، وعن " سلسلة آباء الكنيسة اليونانية" (E.P.E) الصادرة عن " دار نشر الآباء بتسالونيكي باليونان سنة 1975; وصدرت الطبعة الثانية سنة 2007 طبعة منقحة راجعها د. نصحي عبد الشهيد ود. جوزيف موريس فلتس ، وقام بالترجمة أ. مجدي والآب صموئيل وهبة و د. نصحي عبد الشهيد. ونشرها مركز دراسات الآباء بالقاهرة.

وفي رده على سرابيون يكتب أثناسيوس تاريخ موت آريوس [1]، ثم يرسل له بخصوص الطلبين الأول والثانى ما كان قد كتبه "إلى الرهبان ضد الآريوسية" ، وهما " تاريخ الآريوسيين"، "المقالات الأربعة ضد الآريوسيين".

ويعتبر بعض المؤرخين أن التاريخ الذي كتب فيه القديس أثناسيوس المقالات هو فترة نفيه الثالث ، أى ما بين 358-362م، ويتضح من كلام أثناسيوس نفسه أنه لم يكتبها ويقدمها معاً مرة واحدة ، إنما قدمها على فترات في تلك السنوات [2].

يقدم أثناسيوس في المقالة الأولى، ملخصاً لتعاليم الآريوسية كما جاءت في كتاب "ثالياً" تأليف آريوس، ثم يقدم دفاعاً عن تعليم مجمع نيقية المسكونى ضد الآريوسية بأن المسيح ابن الله هو أزلى وغير مخلوق وغير متغير، وعن وحدة الجوهر أو المساواة في الجوهر الواحد بين الآب والابن، ويفند اعتراضات الآريوسيين على هذا الإيمان النيقاوى الأرثوذكسى، وبعد ذلك يتناول بالشرح والبحث بعض نصوص الكتاب المقدس التى استخدمها الآريوسيون للطعن في ألوهية المسيح فيشرح:

أولاً – فيلبى 9:2،10 "**لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً** .

ثانياً – مزمور7:45،8 "**من أجل ذلك مسحك الله الهك**"

ثالثاً – عبرانيين 4:1 "**صائراً أعظم من الملائكة**." ..

وفي المقالتين الثانية والثالثة يكمل شرح النصوص :عبرانيين 2:3، وأعمال 36:2 ، وأمثال 22:8;ونصوص من إنجيل يوحنا حول بنوة المسيح لله وعلاقة الابن بالآب والنصوص (متى 18:28)، يوحنا53:3;مرقس32:13،لوقا52:2، متى39:26، يوحنا27:12 حول تجسد المسيح.

وفي المقالة الرابعة يكمل القديس أثناسيوس دفاعه عن أزلية"الابن الكلمة"وعدم مخلوقيته [3].

1- رأفت عبدالحميد ، اغتيال آريوس ، ص55.

2- أنظر : المقالة الثانية ، فصل1 ; عزيز سوريال ، تاريخ المسيحية ، ص37.

3- عن مصادر المقالات الأربعة والترجمة فأصل النص اليونانى ظهر في المجلد 26 من مجموعة الآباء باليونانية لمينى . (MG 26 : 12 – 526) ; ونفس النص اليونانى الذي تمت عنه هذه الترجمة إلى العربية =

لقد صارت هذه "المقالات الأربعة ضد الآريوسيين "هي المصدر الذي ظل المدافعون عن لاهوت المسيح ينهلون منه على مدى القرون الماضية وحتى الآن; فأثناسيوس يؤكد على الأهمية القصوى لألوهية المسيح لأجل حقيقة الفداء ولأجل نوال النعمة، ولأجل معرفة الله التى توهب للإنسان الخاطئ بواسطة المسيح [1].

رابعا : الردود الآريوسية على أثناسيوس : إلى جانب ردود آريوس على أثناسيوس وأتباعه فى كتبه وحواراته وجدنا بعض أتباع آريوس بل أحد تلاميذه وهو أستيريوس الكبادوكى يتعقب أثناسيوس فى مواضع عديدة ومنها تعقبه لأثناسيوس فى احتجاجه بها فى يوحنا 10:14 " أنا فى الآب والآب فى " حيث قال أستيريوس : " إنه واضح جدا أنه قد قال أنا فى الآب والآب أيضا فى لهذا السبب فلا الكلمة التى كان يقولها هى كلمته بل كلمة الآب ولا الأعمال هى خاصة به بل خاصة بالآب الذى أعطاه القوة " [2] ، وقال : " إن الابن والآب لا يمكن أن يكونا واحدا أو متماثلين بالكيفية التى تعلم بها الكنيسة " [3] ، وقال : " لأنه إما أن يكون من غير اللائق بالنسبة للخالق أن يشاء ثم بعد ذلك يفعل ، وبالتالى يجب أن يقال إنه يشاء فقط ، وحينئذ يجب أن ينسحب هذا على كل الخلائق حتى يحفظ لله عظمته أو أن يكون من اللائق به أن يشاء أو لا يفعل بعد ذلك بالتالى يجب ان ينسحب هذا على أول وأفضل من ولده لأنه بالتأكيد من المستحيل أن يكون لأننا بنفس الإله الواحد أن يصنع أشياء بإرادته ، وفى نفس الوقت يصنع أشياء أخرى بغير إرادته " [4] ، وقال : " إن الابن ليس

= هو النص المنشور في "سلسلة آباء الكنيسة.E.II.E ;كتابات أثناسيوس الاسكندرى الكبير مجلد 2; دار نشر الآباء" تسالونيكى 1974، وهو يحوى النص اليونانى القديم في الصفحة اليسرى ويقابله في الصفحة اليمنى ترجمة إلى اليونانية الحديثة.كما تمت مقارنة الترجمة، بالترجمة التى أنجزها سنة 1844 الكاردينال نيومان Newman بالانجليزية والمنشورة بالمجلد الرابع من المجموعة الثانية من سلسلة آباء نيقية وما بعد نيقية.

1- أنظر : المقالة الأولى، 35 ، 50:49; المقالة الثانية ، 67، 69،70.

2- نقلا عن أثناسيوس ، المقالة الثالثة ، ص12،13.

3- نفسه ، ص27.

4- نفسه ، ص110.

من جوهر الآب وليس ابنا لله بالطبيعة بل هو ابنا بالتبنى مثل باقى المخلوقات ، وكذلك لا يكون الابن هو كلمة الله بالطبيعة بل بأخذه سلطان الكلمة مثل الأنبياء الذين أتت إليهم كلمة الله وهم مخلوقين[1] ". كذلك قال : " إن المسيح مثل الأنبياء[2] ".

ومن جملة ردود الآريوسيين على أثناسيوس قولهم : " طالما أن الله يدعى الواحد والوحيد والأول فكيف تقولون إن الابن هو الله ؟ لأنه لو كان هو الله لما كان الله قد قال : " ليس إله معى " تثنية 32،39 ، ولم يقل : " إلهنا واحد" تثنية426[3] ، ومن حجج الآريوسيين على بشرية المسيح قولهم وهم يتعقبون أثناسيوس : " هو ذا بواسطة موسى قد أخرج الله الشعب من مصر ، وبواسطته أعطى الشريعة بالرغم من كونه إنسانا حتى يكون ممكنا أن تصير الأشياء المماثلة بواسطة ما يماثلها[4] ".

1- نفسه ، ص13 هامش 9.

2- نفسه ، ص14.

3- نقلا عن أثناسيوس ، المقالة الثالثة ، ص21.

4- نقلا عن أثناسيوس ، المقالة الثانية ، ص57.